

الأساس: الكتاب الأول: الافتراضات الأساسية (120) - الإدراك (81)

لجنة التراث النفسى الإسلامى (2 من ؟)

توضيح موقف: أملا فك قبول اعتذارك

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD221012.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوى

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/10/22

السنة الخامسة - العدد: 1879



الاطلاع على ما تيسر لى من مداخلات المشاركين فى الحوار

حول اطروحات لجنة التراث العربى الإسلامى للعلوم النفسية التى

أنشأتها الشبكة العربية النفسية (شعن)، وبعد قرارى الذى أعلنته

أمس بالاعتذار (المؤلم) عن عدم المشاركة فى الوقت الحاضر،

وجدت لزاما على أن أوضح مخاوفى أكثر لكل الزملاء، وقد بدأت

أمس بالابن محمد السعيد أبو حلاوة، وهأنذا أحدد موقفى من هذه القضية ولو بشكل مبدئى

وإجمالى.

زعمت من البداية وأنا أفتح ملف الإدراك أن ما دعانى إلى التركيز على هذه الوظيفة المعرفية

الأشمل "الإدراك" هى شدة ارتباطها بمعرفة الله سبحانه أكثر بكثير من التفكير (كما نعرفه)، ثم إنى

فوجئت أن أغلب مناقشات المشاركين فى لجنة التراث الإسلامى النفسى بعيدة كل البعد عن هذه

الوظيفة مستبدلين إياها بالتركيز على صفة "العقل"، و"التعقل" و"المنطق"، وما إلى ذلك، وقد بحثت

عن ما يقابل ما قدمته عن الإدراك وقد بلغ حتى الآن 620 صفحة، فى النقاش الجارى فلم أجد أيا

من ذلك، إلا أننى وجدت مكافئات له فى بعض ما جمعه أ.د. نزار عيون السود بإيجاز رائع عن

أعلام الفكر فى هذا التخصص، وذلك مثل الخيال عند ابن عربى مثلا (مما سأعود إلى مناقشته

لاحقا).

وهكذا وجدت اختلافا جوهريا فى المنطلق، ففى حين أحاول تركية الدعوة إلى تنمية ما

تصورت أن ثقافتنا العربية الشرقية تتميز به وهو الإدراك الذى يهديننا إلى ربنا مباشر، متصورا

أننى بكشف الغطاء عن هذه الثروة المهملة والمهمشة فى آليات المعرفة حتى معرفة الله، وجدت

زعمت من البداية وأنا
أفتح ملف الإدراك أن ما
دعانى إلى التركيز
على هذه الوظيفة
المعرفية الأشمل
"الإدراك" هى شدة
ارتباطها بمعرفة الله
سبحانه أكثر بكثير من
التفكير (كما نعرفه)

فوجئت أن أغلب
مناقشات المشاركين
فى لجنة التراث
الإسلامى النفسى بعيدة
كل البعد عن هذه
الوظيفة مستبدلين إياها
بالتركيز على صفة
"العقل"، و"التعقل"
و"المنطق"، وما إلى ذلك

وجدت مكافئات له
فى بعض ما جمعه أ.د.

النقاش المعاصر (وليس كما جاء فى بعض التراث الذى جمعه د. نزار) يركز على مضمون أفكار بذاتها ويدعمها بنصوص ثابتة، وتفسيرات جاهزة وهو جهد مشكور طبعاً، لكنه أقرب إلى التفسير والتأويل، منه إلى التحريك والاستلهام.

قدرت قبل الدخول فى بعض التفاصيل كعينة توضيحية أن أعلن بعض الخطوط العريضة لموقفى حتى يفهم الجميع اعتذارى على الوجه الصحيح، وهى خطوط لم أكف عن إعلانها منذ عدة عقود، كلما أتحت الفرصة، ومن أهمها:

أولاً: إن المسلم مسئول عن الناس وليس فقط عن نفسه وعن المسلمين، وبالتالي عن الاسهام فى مقاومة الحال الذى آل إليه الإنسان المعاصر عبر العالم كله بدءاً بناسه طبعاً، لكنها مسئولية ليس لها آخر.

ثانياً: إن الإسلام ليس دين الوسط، كما نشيع عنه فرحين، فلا يصل من هذا الوصف إلا معنى التوفيق (الذى يصل أحيانا إلى درجة الهلامية) لكنه دين "الشهادة"، ونحن المسلمين "أمة وسطا" ليس لأننا نقع متوسطين بين طرفين متباعدين ولكن "لنكون شهداء على الناس"، ويكون الرسول علينا شهيدا.

ثالثاً: إن الإسلام ليس دين العقل كما يفخر أغلب المسلمين، ولكنه دين العقول مجتمعه، فلإنسان عقول كثيرة على مستويات وعى متصاعدة، وكلها خلقها ربنا لتتوجه إليه معا فتتكمال المعرفة ونحن نسعى إلى وجهه تعالى. أنظر نشرة 2007-12-25 (**أنواع العقول وتعدد مستويات الوعى "دانييل دينيت").**

رابعاً: المطلوب الآن هو الكشف عن المنهج الذى يحرك هذه العقول معا إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى، وليس جمع محتوى عقائدى ساكن لا يعدو المستوى الفكرى الأسطح، مع الإقرار بأن هذا الجمع كان عملاً رائعاً ومفيداً، فالمسلم الذى تتشظت عقوله عليه أن يتحرك فى اتجاه المعرفة المتصاعدة أكثر من أن يفرح بالعثور على قيم إرشادية مفيدة عثر عليها فى تراثه، دون أن يبحث فى أصلها وحركيتها وتوجهها.

خامساً: إن حركية المعرفة لا تنفصل عن حركية التطور البيولوجى والنفسى، والأنتوجينى والفيلوجينى .

سادساً: إن "الروح" من أمر ربي، وأنا أتجنب استعمال هذه الكلمة مهما بدت "لطيفة" جاذبة، وذلك احتراماً لتوصية ربنا لنبيه عليه الصلاة والسلام ونحن نسأله عنها.

نزار عيون السود بإيجاز
رائع عن أعلام الفكر
فك هذا التخصص،
وذلك مثل الخيال عند
ابن عربك مثلاً (مما
سأعود إلـك مناقشته
لاحقاً)

وجدت اختلافاً جوهرياً
فك المنطلق، فك حين
أحاول تزكية الدعوة
إلـك تنمية ما تصورت أن
ثقافتنا العربية الشرقية
تتميز به وهو الإدراك
الذـك يهدينا إلـك ربنا
مباشراً

وجدت النقاش المعاصر
(وليس كما جاء فك
بعض التراث الذـك
جمعه د. نزار) يركز
على مضمون أفكار
بذاتها ويدعمها بنصوص
ثابتة، وتفسيرات جاهزة
وهو جهد مشكور
طبعاً، لكنه أقرب إلـك
التفسير والتأويل، منه إلـك
التحريك والاستلهام

إن المسلم مسئول عن
الناس وليس فقط عن
نفسه وعن المسلمين،

سابعاً: إن منطلقى هو بيولوجى بالمعنى الأشمل لما هو **حيوى حاضر**، أى دون أى اختزال إلى خلايا أو مشتبات أو كيماء فقط، وهذا يشمل التعامل مع كل التشكيلات الحيوية الهيراركية المتركمة الفعالة منذ تشكلت ثم تضمنت فى الأحداث فالأحداث بالتناوب والجدل وغير ذلك.

وبعد

أعتقد أن الزملاء يمكن أن يقبلوا اعتذارى إن اقتصرتم مشاركتى - بعد ذلك - على بعض ما يحتاج توضيحا محددًا فى نقطة بذاتها.

دعواتى للجميع بالتوفيق والنفع والهداية والقبول،

وعلى الله قصد السبيل

* * * *

تمهيداً لنشرة اليوم:

حين هممت اليوم أن أوصل تعليقى على ما وصلنى من اقتراح لجنة التراث العربىإسلامى النفسى وجدت أننى قد أستدرج إلى مناقشات جانبية بلا نهاية، ففضلت أن أكتفى بأن أكمل حديث أمس موجهاً خطابى إلى الابن د. محمد السعيد أبو حلاوة مدرس الصحة النفسية وعلم نفس الأطفال غير العاديين. كلية التربية جامعة دمنهور، داعيا الابن أ.د. إدريس عبد السلام الشاهدى الوزانى، للإطلاع إن شاء لحين العودة إليه لاحقاً فيما يحتاج منى رأياً أو وقفة أو توضيحا، وهذا لا يعنى أننى لا أخاطب الجميع، ولكن دون ذكر الأسماء تحديداً، فأعلان موقفى ومخاوفى وتقصيرى هو مدخل أساسى لأى حوار لاحق.

ثم أننى آمل فى وقت قريب أن أعود لبيان تقديرى الخاص جداً، وفرحتى وترحيبى بالجهد الرائع الذى أتحفنا به أ.د. نزار عيون السود حيث استطاع أن يجمع فى هذا الحيز المحدود كل هذه القمم فى المشرق والمغرب العربيين عبر هذه القرون فى مجال الفكر النفسى الاجتماعى، بهذا الإيجاز المتماسك المفيد جداً، مما يحتاج أن أفرد له أكثر من نشرة للشكر والترحيب والتعليق.

وبعد

أنهيت نشرة أمس بقولى:

"... زادت مخاوفى يا محمد وهو ما قد أفصله غداً..."

وهأنذا أفعل:

هناك فرق جوهرى بين البحث فى إحلال "مضمون" (عقائدى أو أيديولوجى أو سلوكى أو

وبالتالى عن الأسهم
فك مقاومة الحال الذك
آل إليه الإنسان المعاصر
عبر العالم كله بدءاً
بناسه طبعها، لكنها
مسئولية ليس لها آخر

إن الإسلام ليس دين
الوسط، كما نشيخ عنه
فرحين، فلا يصل من هذا
الوصف إلا مهتك
التوفيق (الذك يصل
أحياناً إلى درجة
الهلامية) لكنه دين
"الشهادة"، ونحن
المسلمين "أمة وسطاً" ليس
لأننا نقع متوسطين بين
طرفين متباعدين ولكن
"لنكون شهداء على
الناس"، ويكون الرسول
علينا شهيداً

إن الإسلام ليس دين
العقل كما يفخر أغلب
المسلمين، ولكنه دين
العقول مجتمعه، فالإنسان
عقول كثيرة على
مستويات وعد
متصاعدة، وكلها خلقها
ربنا لتتوجه إليه معاً
فتتكامل المعرفة ونحن
نسعدك إلك وجهه
تعالى

شرعى..الخ) نعتقد أنه الأصح أو الأفضل أو الأرقى أو الأكثر تناسبا لنا، محل "مضمون" (عقائدى أو أيديولوجى أو سلوكى آخر..الخ) نعتقد أنه أدنى أو مبتسر أو حتى شر كله، أو على الأقل غير مناسب لنا، هذه العملية (إحلال مضمون محل مضمون) لم يعد لها أولوية فى حوار البشرية حاليا بعد أن قفزت بنا التكنولوجيا إلى هذه الإمكانيات الهائلة التى سمحت لنا نحن البشر - كنوع متميز من الأحياء - أن ننضم إلى بعضنا البعض حول محور معرفى مشترك، بوعى صعب، فى محاولة الحفاظ على نوعنا فى مواجهة احتمال الانقراض، هذا هو منطقى طول الوقت، وأعترف أننى فى كثير من الأحيان أخشى أن يكون هذا الموقف نوع من الهروب من حمل مسئولية ناسى الأولى بجهدى وفكرى، أو التهرب من مواجهة فشل دعوتى وضياح صرختى حيث لا سميع ولا مجيب، فأزعم أن قضيتى هى مع الزمن والتطور، وأفوض أمرى إلى الله ربه وخالقى وخالق الزمن والتطور، وأواصل السعى، أنا يا محمد أكاد لا أكتب حرفا إلا وفى وعيى عدة أرقام لا أمل من تكرارها (مع علمى بسخف التكرار) لكنها بالنسبة لى تظل موقظة "مُوحية" الرقم الأول هو هذا الواحد فى الألف الذى تبقى من الأحياء عبر تاريخ الحياة فى مقابل الـ 999 الذين انقرضوا من كل ألف، والنوع البشرى هو ضمن هذا الواحد فى الألف لا أكثر، ثم أنى لا أخفى على أحد أننى أنتمى إلى الفكر التطورى الذى أعتقد أنه أقرب إلى الإيمان وإلى ربه كما خلقنى من أى فكر آخر، والذى لا يقتصر على تشارلز داروين (الذى كَفَرَه أو حذر منه معظم المشاركين فى حوار الملف النفسى الإسلامى حتى الابن أ.د. إدريس الوزانى، أقول لا يقتصر على داروين بل يشمل والاس، ولا مارك، وهربرت سينسر و"السلالة" بين الإنسان والطين، وغير ذلك.

أرقام أخرى تنبهنى وتجعلنى أكثر تواضعا وأطول صبورا، هى صادمة أيضا، وهى من

الفكر التطورى كذلك، وهى علمية مثبتة وصادقة، هل يمكن أن تتأمل معى بعضها:

عمر الكون 9-20 بليون سنة، عمر الأرض 4-6 بليون سنة (أقدم تسجيل لصخورها

4 بليون سنة)، عمر الحياة على الأرض 1-2 بليون سنة، عمر الإنسان 600 ألف سنة

!!!، جذور السلوك التدينى أمكن إرجاعها إلى 300 ألف سنة، علامات وإرهاصات نشأة

اللغة 100 ألف سنة، الأديان السماوية \pm 4000 سنة، ما يسمّى العلوم الحديثة 200 سنة،

ثم العلوم الحديثة جدا 50 سنة.

هذه الأرقام تقريبية وهى بعض نتاج علوم كثيرة (من الجيولوجيا والباليونتولوجيا -أشكال

الحياة فى العصور الجيولوجية السابقة- إلى التاريخ، مروراً بالبيولوجيا..الخ). أتصور أن خيالنا

المطلوب الآن هو الكشف عن المنهج الذى يحرك هذه العقول معا إلى معرفة الحق سبحانه وتعالى، وليس جمع محتوك عقائدى ساكن لا يعدو المستوك الفكرى الأسطح

المسلم الذى تنشطت عقوله عليه أن يتحرك فك اتجاه المعرفة المتصاعدة أكثر من أن يفرج بالهثور على قيم إرشادية مفيدة عثر عليها فك تراثه، دون أن يبحث فك أصلها وحركيتها وتوجهها

إن حركية المعرفة لا تنفصل عن حركية التطور البيولوجى والنفسى، والأنتوجينى والفيلوجينى

أمل فك وقت قريب أن أعود لبيان تقديرى الخاص جدا، وفرحتى وترحيبى بالجهد الرائع الذى أتفنا به أ.د.

نزار عيون السود حيث
استطاع أن يجمع فك
هذا الحيز المحدود كل
هذه القمم فك المشرق
والمغرب العربيين عبر
هذه القرون فك مجال
الفكر النفسك
الاجتماعك

هذه العملية (إحلال
مضمون محل مضمون) لم
يعد لها أولوية فك حوار
البشرية حالياً بعد أن
قفزت بنا التكنولوجيا
إلى هذه الإمكانيات
الهائلة التكم سمحت لنا
نحن البشر - كنوع
متميز من الأحياء - أن
ننضم إلى بعضنا البعض
حول محور معرفك
مشترك، بوعك صعب،
فك محاولة الحفاظ على
نوعنا فك مواجهة
احتمال الانقراض

لا أخفك علىك أحد
أنك أنتكم إلى الفكر
التطورك الذك أعتك
أنه أقرب إلى الإيمان
وإلك ربك كما خلقك
من أحد فكر آخر

إن المحنة التكم يمر بها ما
يسمك العلم ليست أقل
من المحنة التكم يمر بها

قاصر عن التعامل معها بما يسمح بامتزاجها بالوعى، ومن ثم المسؤولية، لكنها حقائق لابد أن
توضع فى الاعتبار، وسيحاسبنى ربي إن لم أفعل.

إن الإنسان عموماً، والمسلم ضمناً، الذى يستطيع أن يتحمل مسؤولية ما يحمل من تاريخ الحياة،
يمكنه أن يواجه وهو يقرأ مثل هذه الأرقام بأسئلة موقظة مثل:

- هل يصح أن تصبح الـ 200 سنة الأخيرة وصية على

المستقبل دون كل ما سبق إنجازة تحت زعم أن "العلم الحديث- دون

غيره - هو الحل"؟

- وهل يصح أن تكون الأربع آلاف سنة الأخيرة وصية على

السابق واللاحق تحت زعم "العودة للدين كما سبق لنا تفسيره بما ثبت

فى التراث وليس كمحرك لحركية التطور نحو الإيمان إلى وجه الله"؟

- وهل يصح أن نقصر تعبير "المنهج العلمى" على بعض ما جاء

فى هذه الـ 200 سنة؟ (أو الـ 50 سنة؟)

إن المحنة التى يمر بها ما يسمى العلم ليست أقل من المحنة التى يمر بها ما آل إليه الدين كما

جاء منذ أسبوعين فى نشرة: 2012-10-7 (الإدراك، والإيمان، والدين، والله!!!)، فلنقرأ معا

بعض ذلك حتى نعرف مسؤولية المؤمن، مسلماً وغير مسلم فى مواجهة جمود المؤسسة العلمية

تماماً مثل مواجهة جمود المؤسسة الدينية.

وسوف يكون أكثر فائدة إذا راجعنا النشرة التى جاء فيها "ماذا آل إليه الدين" قبل النظر فى "ما

آل إليه العلم" حتى نكون أمناء ونحن نطرح نفس التساؤل.

بعض ما آل إليه سوء استخدام مفهوم "العلم"

أغلب العلم المؤسسى يتباعد باضطراد عن أصل السعى إلى المعرفة، وهو يسخر حالياً لخدمة

أغراض اغترابية أو سلطة استغلالية، وفيما يلى بعض ما انتهى إليه ما يسمى العلم، حتى أصبح

جامداً، أو سلطوياً، أو وصياً مُبْعِداً لما دونه، ومن ذلك أن العلم أصبح (كأمثلة):

(1) العلم منظومة قِيَمِيَّة اكتسبت زخم الأيديولوجيا إلى درجة التقديس وما يستتبعه من

تعصب دينى منغلق (العلم المؤسسى = دين كنسى مغلق).

(2) العلم هو فقط ما يثبت بالتجربة القابلة للإعادة التى تعطى نفس النتائج، وما عدا ذلك

هرطقة، مثلما اتهموا العلم المعرفي، وكذلك أزاحوا علم الإدراك إلى ما يجوار علم النفس (الباراسيكولوجي) .

(3) العلم هو ما يقبله منهجي - أنا- "العلمي" فقط. ("أنا" تعود إلى أي عالم متمسك بمنهجه

الأوحد حد القداسة)

(4) العلم هو ماتسبقنا فيه إسرائيل وأمريكا بالذات!!!

(5) العلم قادر على كل شيء فلا حاجة بنا إلى غيره (دين العلم الجامع المانع).

إذا كان الأمر قد وصل بالدين، ثم بالعلم إلى هذا المأزق، فماذا يمكن أن أفعل وأنا المسلم الذي

تأكد من مسئولية حملته الأمانة من خلال ممارسته مهنته، ماذا أفعل وأنا أواجه تاريخ الحياة

والأحياء مكدسا في مستويات متصاعدة خاصة مع الذهانين ثم أعالجهم من خلال ذلك؟، ماذا أفعل

وأنا انتمى إلى الفكر التطوري، وأنا لم أخف انتمائي هذا أبداً عن أحد، ويبدو هذا ظاهراً في تسمية

مجلتنا "الإنسان والتطور" الذي صدر أول عدد منها في يناير 1980، ثم تسمية النشرة اليومية في

موقعي والشبكة، وقد دخلت عامها السادس، بنفس الاسم "نشرة الإنسان والتطور".

دعوني أقتطف الآن ما يوضح هذه النقطة الجوهرية التي قد تكون كفيلاً بطردى من سوق

النقاش من البداية تحت لافتة الهرطقة مثلما فعلت الكنيسة الحاسوبية العظمى مع العلم المعرفي،

حيث اتهمته بالهرطقة، مرة أخرى: مثلما فعلت مع علم الإدراك حين إزاحته إلى ما بجوار علم

النفس (الباراسيكولوجي)، أقول دعوني أقتطف ما أعلنت به موقفي على الكافة منذ 32 عاما

بالتمام، وإن كان ذلك قد ورد في تلك المجلة الفصلية التي كانت تطبع بالمئات ولا يقرأها إلا

العشرات، "الإنسان والتطور" حيث جاء في افتتاحية العدد الأول ما يلي:

"... باسم العدل الحق العليم، باسم الإنسان المصري العنيد، باسم التطور

الحتمي يقف علي قمة هرمه الإنسان الساعي لوجه الله، باسم الحقيقة التي تفرض

نفسها في دورات حتمية مهما طال الزمن وطغت قيم الزيف، واختفي بريق

التطور النابض الغائر الأكيد،.."

وغداً نكمل هذا المقتطف وما يليه من مقال في نفس العدد بعنوان:

الله .. الإنسان .. التطور .. الله: "سلسلة حتمية"

أغلب العلم المؤسس
يتباعد باضطراد عن
أصل السعد إلى
المعرفة، وهو يسخر
حالياً لخدمة أغراض
اغترابية أو سلطة
استغلالية

إذا كان الأمر قد وصل
بالدين، ثم بالعلم إلى
هذا المأزق، فماذا يمكن
أن أفعل وأنا المسلم
الذي تأكد من
مسئولية حملته الأمانة من
خلال ممارسته مهنته

ماذا أفعل وأنا أواجه
تاريخ الحياة والأحياء
مكدسا في مستويات
متصاعدة خاصة مع
الذهانين ثم أعالجهم من
خلال ذلك؟

ماذا أفعل وأنا انتمى
إلى الفكر التطوري،
وأنا لم أخف انتمائي
هذا أبداً عن أحد